المواصفات البحثية للرسائل الجامعية في علم النفس: دراسة مقارنة بين الجامعات في لبنان

فاديا خطيط

تقديم: الدراسات العليا: دور وتصوّر

تمثّل الدراسات العليا الخطوة الأولى في التوجّه البحثي للطالب الجامعي. من هنا تبرز أهميتها في تكوين الباحثين، حتى إن البعض يرى في ضعف برامج الدراسات العليا وندرتها في بعض الحقول والتخصصات أحد الأسباب المعيقة للعطاء العلمي. ويرى في المقابل في دعم وتطوير هذه البرامج عملاً خليقاً برفع المستوى العلمي في العالم العربي[1].

هذا الأمر لا يبدو جلياً لطلاب هذه الدراسات، إذ لو سألت أي طالب عن سبب إعداده لها لرفع الحاجبين استغراباً، كما لو أنك تسأله لماذا تكبر؟ إذ هو بالنسبة إليه استمرار لأمر لم يعقه عائق.

إنّ عدم وعي أهمية البحث يتأتى ليس من قصور نظر الطلاب، بل كما يرى المختصون في حقل التعليم العالي، من الوظيفة التي اضطلعت بها الجامعات في الدول العربية والتي اقتصرت على تلبية حاجة المجتمع من الخريجين والفنيين بواسطة التعليم، من دون أن تعمل على إحداث الأثر المطلوب في أهداف التعليم العالي في البحث العلمي، ونقل التقانة. فلم تخرج عن كونها استكمالاً لمراحل التعليم التي تسبقها[2].

ويفصّل بعض المفكرين ذلك بردّ أسباب قصور الوظيفة العلمية للجامعات العربية إلى الجو الاجتماعي العام[3] أو إلى أبعد من ذلك، أي إلى سيادة ظاهرة التبعية. ويرون بالنسبة إلى الدول النامية تحديداً أن ضعف طرائق البحث وتقنياته يضاعفه فيها الانخفاض الشديد في الإنفاق على البحث وهامشية المجتمع العلمي، وارتفاع المراهنة على الأجوبة الجاهزة لدى

(١) عدنان بدران، «دور التعليم العالي ومراكز البحوث في تهيئة الإنسان العربي للعطاء العلمي،» في: **تهيئة الإنسان العربي للعطاء العلمي** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥).

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٧١.

(٣) حامد عمار، «حول التعليم العالي والتنمية،» **المستقبل العربي**. العدد ٤٠ (حزيران/يونيو ١٩٨٢).

متـخذي القرارات والوكـلاء الاجتمـاعيـين. هذه الأجوبة، التي تقدم في مـواجهـة الأسئلة التي تطرحها الممارسة والمـشكلات المتراكمة، مصدرها ثنائي. أولهما التقاليـد الاجتماعية (العودة إلى الموروث، نمـوذج الأب الذي لا يصح إلاّ أنه يجب) وحسابات المصـالح الضيقة؛ وثانيـهما الخبراء الأجانب الذين يعززون بنية الجواب «الجاهز» أكثر من بنية «البحث»[٤]...

ليس الهدف من هذه الدراسة تحليل وظيـفة التعليم العالي ومظاهر قصـورها، وإنما عرضنا لهذا الواقع بهـدف تحديد المشـكلية التي تنطلق منها الـدراسة، من أجل أن نتبـيّن جذور تشكل التقاليد البحثية الجامعية. ومـن المفيد في هذا الصدد مراجعة بحوث ومناقشات الندوة الفكرية حول تهيئة الإنسان العربي للعطاء العلمي[٥]، ودور التعليم العالي في ذلك، التي تلخص عدداً من مظاهر الحياة العلمية في المواصفات التالية:

- ضعف التوجه البحثي العلمي عموماً.
- عدم ربط البحوث العلمية بخطط التنمية الشاملة.
- عدم التركيز على الجانب التطبيقي للبحث العلمي.
- فردية المناخ العلمي السـائد في معظم مؤسسات التـعليم العالي العربية ومراكـز البحوث وبعده من المناخ العلمي الجماعي.
- قلة العاملين في البحث العلمي وضعف إنتاجيتهم.
- نقص المراجع العلمية.

ولكن هذا التقديم يفتح على أسئلة عريضة، منها هل ثمة خصوصية للتعليم العالي في لبنان؟ وبالتالي لتـجربة الطالب اللبناني، وخـصوصاً بعـدما «أنضجـه» واقع اجتمـاعي حفل لسنوات عديدة بطروحات عقائدية واجتماعية تطاحنت وصولاً إلى حرب مديدة، فهل هو كالطالب العربي الآخر الآتي إلى الـتعليم من واقع أقل إثارة على الأقل؟ ثم هل أن الدراسـات العليا هي الـموضع الكاشف عن هذا التقصير؟ ولماذا حقل علم النفس تحديداً وليس الحقول المعرفية الأخرى؟

السؤالان الأولان يتخطيان حدود الدراسة الحالية، ولكـنهما يكوِّنان خلفية لها، أما السؤالان الأخيران فإن الإجابة عنهما تدخلنا في صلب الموضوع.

إن اختيار رسـائل دبلوم الدراسات العليا والماجستيـر نجم عن اعتبارنا إياه الخطوة الأولى في طريق البحث. ويـمكن اعتبـار هؤلاء الطلاب مشاريع باحـثي المستـقبل، بالقـوة أو بالفعل. والسؤال هو كيف يتعاملون مع هذا الواقع، بأي تصوّرات وبأية عدّة؟

ثم إن حـصـر الدراسـة بحـقـل علـم النـفس مـردّه ـ إضـافـة إلى الاهتـمـام الأكـاديمي الشـخصي ـ إلى أن هذا الـحقل يؤلف مع السـوسـيولوجـيـا والانتروبولوجـيـا وجهـة النظر «الإنسانية» التي تسعى لتأمـين شروط المنهجية الموضوعية بمواجهـة وجهة النظر «العلمية» المشكّلة من علوم البيولوجيا والكيمياء والفيزياء...

---

(٤) Adnan EL-Amine, "Enseignement et dépendance," Essai sur le Liban et les pays arabes; Doctorat d'Etat de lettres et Sciences Humaines, Paris V, 1990-1991.

(٥) تهيئة الإنسان العربي للعطاء العلمي.

أولاً: المنهج وإجراءات الدراسة

تجمع التعريفات المقدمة حول وظيفة الدراسات العليا على أنها إعداد للطالب على القيام ببحث علمي[٦]. أما مراحل البحث العلمي في ميدان علم النفس ـ كما في غيره من الميادين ـ فيمكن اختصارها[٧] كالتالي:

ـ صياغة مشكلية قابلة للحل، يمكن الإجابة عنها بأدوات ملائمة.

ـ تقديم فرضية كحلّ مفترض للمشكلية.

ـ اختبار الفرضية بواسطة تجميع المعلومات وتنظيمها بطرائق إحصائية والاستنتاج.

ـ تعميم الفرضيات (إذا ما أثبتت).

ـ التنبؤ بوضعية جديدة استناداً إلى الفرضيات المعممة.

والسؤال الذي ننطلق منه في دراستنا هو إلى أي حدّ تتوافر صفات البحث العلمي الجيد؟ وكيف تبرز مراحل البحث العلمي في رسائل الدراسات العليا في علم النفس؟

١ ـ الفرضيات

في ضوء ما جرى عرضه نبني الفرضيات التالية:

أ ـ ضعف الأداء البحثي لدى طلاب علم النفس. والمؤشرات على ذلك: (١) عدم التوازن ما بين المنحيين النظري والتطبيقي لمصلحة الأول؛ (٢) عدم الارتكاز على دراسات سابقة؛ (٣) عدم الانفتاح على دراسات لاحقة، إن من حيث صعوبة تكرار البحث، أو من حيث تعميم نتائجه، أو توليد أسئلة جديدة؛ (٤) الافتقار إلى مراجع حديثة؛ (٥) ضعف المساهمة المعرفية فيه.

ب ـ ضعف التقليد البحثي. المؤشرات على ذلك: (١) تجيير البحث لخدمة الأهداف الخاصة؛ (٢) البحث في المفاهيم النظرية البحتة، والبعد من الموضوعات الحقلية؛ (٣) غياب التنسيق ما بين اهتمامات الأستاذ وتوجه الطالب؛ (٤) غياب التنسيق لجهود البحث في الجامعة الواحدة؛ (٥) غياب التنسيق لجهود البحث في ما بين الجامعات.

٢ ـ طريقة الدراسة

تعتمد الدراسة الطريقة الوصفية[٨]. لذا قمنا بقراءة الرسائل وحاولنا استخلاص العناصر الأساسية التي تتألف منها مسترشدين بالنموذج العام لشروط البحث العلمي الجيد ومراحله كما جرى عرضه أعلاه.

---

(٦) نستعير من سالكيند صفات البحث العلمي وهي: (١) يستند إلى بحث الآخرين؛ (٢) قابل للإجراء؛ (٣) يمكن تكراره؛ (٤) يمكن تعميمه على أوضاع أخرى؛ (٥) يرتكز على خلفية منطقية أو يرتبط بنظرية؛ (٦) يولد أسئلة أخرى؛ (٧) يمثل إسهاماً؛ (٨) هو نشاط غير سياسي يجري لمصلحة المجتمع. انظر: N.Salkind, *Exploring Research* (New York: Maccmil-lan, 1991)

(٧) Mcguigan, *Experimental Psychology: Methods of Research* (Prentice-Hal pub, 1990)

(٨) وهي «تعني وتتضمن دراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بطبيعة ظاهرة أو موقف أو مجموعة من الناس أو مجموعة من الأحداث والأوضاع... غير أنها لا تحصر أهدافها في مجرد جمع الحقائق... إذ لو كان الأمر كذلك لما كانت تعد بحوثاً علمية على وجه الإطلاق، إذ ينبغي على الباحث أن يسجل الدلالات التي يستخلصها من البيانات المجموعة مسترشداً في ذلك بالأهداف التي يتوخاها من الدراسة». انظر: سعيد يوسف البستاني، **منهجية البحث الجامعي** (بيروت: مؤسسة نوفل، ١٩٨٩).

٣ ـ عينة الدراسة

توخياً للإحاطة، سعينا للاطلاع على أكبر عدد ممكن من رسائل الدبلوم والماجستير المعدّة في التسعينات في مختلف الجامعات في لبنان.

ولقد تبين لنا من خلال الاحتكاك الميداني أن اختصاص علم النفس لا يتوافر في جميع الجامعات اللبنانية، وأن بعض الجامعات قد أغلق هذا الاختصاص على مستوى الدبلوم والماجستير (الجامعة الأميركية في بيروت، والجامعة العربية) وأن عدد الذين يتوصلون إلى تحضير رسائل جامعية في هذا الحقل هو ضئيل مقابلة باختصاصات أخرى.

انعكس هذا الواقع في تركيب عينة الدراسة على النحو التالي:

أ ـ الجامعة اليسوعية

يمثل دبلوم الدراسات العليا في الجامعة اليسوعية خطوة أولى من تحضير أطروحة الدكتوراه، ولا يطلب من طالبه إعداد دراسة، وإنما وضع تصوّر وتصميم ولائحة مراجع فقط حول موضوع الدكتوراه الذي يزمع دراسته.

أما الرسالة التي يعدها الطالب في اختصاص محدّد في علم النفس، ويبرهن فيها عن جدارته البحثية من جهة وعن توغله في حقل الاختصاص من جهة أخرى، فتطلب منه في سنة الجدارة وهي تسبق مباشرة سنة الدبلوم.

لذلك ارتأينا أن نضم رسائل الجدارة في عداد العينة، وبخاصة أنها لجهة الحجم والطباعة والموضوع والمراجع تبدو قريبة جداً من رسائل الدبلوم أو الماجستير المعدّة في الجامعات الأخرى.

ويلاحظ في الجامعة اليسوعية غزارة الإنتاج البحثي للطلاب في حقل علم النفس، إذ لا تدانيها أية جامعة أخرى في ذلك. فلقد أحصينا الرسائل المعدّة ما بين عامي ١٩٩٠ و١٩٩٥ فبلغت ٢٦ رسالة، اكتفينا بمراجعة اثنتي عشرة رسالة، ويتبيّن أن ١٠ رسائل منها تمت بإشراف منير شمعون، ورسالة واحدة بإشراف ماري تيريز بدوي ورسالة بإشراف موريست صيقلي. وجميع الرسائل وضعت باللغة الفرنسية.

ب ـ الجامعة اللبنانية

(١) كلية الآداب والعلوم الإنسانية:

الفرع الأول: لم يتجاوز ما أعدّ من رسائل الدبلوم بين عامي ١٩٩٠ و١٩٩٥ الثماني رسائل ـ ضمت جميعها إلى العينة. ثلاث رسائل بإشراف عباس مكي، واثنتان بإشراف رالف رزق الله[٩]، وثلاث بإشراف كل من عبد اللطيف معاليقي ونزار الزين ومصطفى حجازي. كتبت جميعها باللغة العربية.

الفرع الثاني: لا يوجد في مكتبة الفرع الثاني ملف خاص برسائل الدبلوم لطلاب الفرع. وبعد لأي من قبلنا وجهد مشكور من قبل موظفة في المكتبة بحثت في سجلات الطلاب، تبين أن هناك أربع رسائل دبلوم أعدت في التسعينات، بإشراف كل من الأساتذة جاك بركات،

(٩) توفي في أثناء إعداد هذه الدراسة. وكان قد أعارني عدداً من رسائل الدبلوم المتوافرة لديه. فكنت كلما لمست صفحة في إحداها لامس روحي حزن وأسى عميقان لغيابه... رحمه الله.

وأنطوان بستاني وليلى شيخاني ناكوز وجورج رحمة. اثنتان باللغة الفرنسية، وواحدة بالإنكليزية وواحدة بالعربية.

(٢) معهد العلوم الاجتماعية[١٠]

ج ـ الجامعة الأميركية في بيروت

توقفت الجامعة الأميركية عن توفير ماجستير (M.A) في علم النفس وأبقت على الإجازة. ويمكن طالب الإجازة في هذا الحقل أن يكمل مساره إما في قسم العلوم الاجتماعية والسلوكية أو في قسم التربية.

أحصينا الرسائل المعدة في هذين القسمين، فكانت ستاً في القسم الأول ولكنها تدخل في إطار السوسيولوجيا أكثر مما تقع في مجال علم النفس، وأربعاً وعشرين رسالة ماجستير في التربية.

اخترنا من هذه الرسائل الأخيرة ما وجدنا أن موضوعها مشابه لموضوعات الدبلوم في علم النفس في الجامعات الأخرى (وبخاصة ما تعلق منها بعلم نفس التعلم). فتحصل لدينا ما مجموعه ست رسائل، أربع منها بإشراف سمر مقلد وواحدة بإشراف كرما الحسن، وواحدة بإشراف نيف والكر (Neff Walker)[١١]. وكل الرسائل باللغة الإنكليزية.

د ـ جامعة الروح القدس ـ الكسليك

تعطي جامعة الكسليك اختصاص علم النفس حتى مستوى الدكتوراه. ولقد أحصينا ما يقارب الاثنتي عشرة رسالة دبلوم معمقة أجريت في التسعينات (إضافة إلى ما يقارب الخمسين مقالة جامعية على مستوى الليسانس) وضمت عينتنا تسع رسائل دبلوم، أربع منها بإشراف نبيل قنبر، وأربع بإشراف جيزيل روفايل كازور، وواحدة بإشراف عادل عقل، وكل الرسائل باللغة الفرنسية.

هـ ـ الجامعات الأخرى[١٢]

(١٠) يمكن الطالب في الجامعة اللبنانية المرور إلى اختصاص علم النفس عبر منفذ معهد العلوم الاجتماعية الذي يعطي شهادة دبلوم الدراسات العليا في علم النفس الاجتماعي. وقد وجدنا رسالة واحدة أعدت عام ١٩٩١ ـ ١٩٩٢ بإشراف د. دولة خنافر باللغة العربية، ولم ندرجها في عينة الدراسة لأنها لا تكفي للدلالة على التوجه البحثي السائد في المعهد.

(١١) ارتأينا ضم هذه الرسالة على الرغم من أنها أعدت قبل التسعينات وفي قسم العلوم الاجتماعية والسلوكية، وذلك لإعطاء فكرة عن المنهج البحثي الذي كان سائداً قبل إغلاق الماجستير.

(١٢) جامعة بيروت العربية: وهي توقفت عن منح الدبلوم في علم النفس في أثناء الحرب. ومع ذلك حاولنا استطلاع بعض الأبحاث التي أجريت في حقل التربية أو في موضوعات قريبة من مجال علم النفس، وتوقفنا عند أربع رسائل: اثنتان تمتا بإشراف د. عبد الرحمن عيسوي، وواحدة بإشراف د. عباس محمد عوض، والأخيرة بإشراف د. كمال دسوقي، وكلها باللغة العربية.

وبعد الاطلاع على الرسائل تبين لنا أن صلة رسائل الدبلوم المعدة في هذه الجامعة بالبحث العلمي واهية جداً، فلا إسنادات في النصوص ولا عودة إلى مراجع ولا فرضيات عمل ولا عمل ميدانياً يتوافر فيه أدنى مصداقية، ناهيك بالطباعة السيئة والتبويب الذي لا يعيره الطالب أية أهمية، حتى إن فهرست الموضوعات لا يتطابق مع ترتيب الدراسة، الأمر الذي جعلنا نعدل عن إدراج هذه الرسائل ضمن عينة الدراسة.

جامعة البلمند: وهي توفر اختصاص علم النفس على مستويي الإجازة والماجستير. ولكن حتى تاريخ إعداد هذه الدراسة لم يكن قد أنجز سوى رسالة ماجستير واحدة بإشراف د.نبيل قنبر وباللغة الفرنسية، فلم تضم إلى العينة.

ثانياً: النتائج

١ ـ السمات العامة لرسائل دبلوم علم النفس ـ وصف

قبل البدء في تعيين السمات العامة لرسائل الدبلوم نشير إلى ملاحظة مركزية تتعلق بغلبة الجنس الأنثوي بين معدّي هذه الرسائل. إذ إنه من أصل ٣٩ رسالة هناك خمس من إعداد طلاب ذكور وأربع وثلاثون من إعداد طلاب إناث. ونتساءل عن سبب «تأنيث» هذا الحقل، هل ثمة تقارب وجداني ما بين موضوعاته واهتمامات الإناث؟ أو يكون السبب في ضيق أفقه المهني؟ والسؤال الأساسي هل يتأثر إعداد الرسائل وتوجهاتها وموضوعاتها بعامل الجندر (Gender)؟ ثمة من يميل إلى تأكيد ذلك. ولقد صاغت هالوي[١٣] سؤالاً مشابهاً حين حاولت ليس فقط معرفة لماذا وفي أية ظروف تشتغل المرأة في حقل علم النفس على نحو مغاير عن الرجل وإنما لماذا وفي أية ظروف لا تقوم بذلك؟ على أي حال، علينا أن نبقي هذا المعطى ماثلاً في أذهاننا حين نتناول بالتحليل سمات الرسائل. وأبرز هذه السمات يمكن توصيفها كالتالي:

أ ـ شخصنة الموضوعات

يضع طلاب الدبلوم في علم النفس نصب أعينهم جمهوراً معيناً يدرسونه. ولقد صنفنا الموضوعات المدروسة من قبل هؤلاء تبعاً للجمهور وفئاته فكانت كالتالي:

الموضوع / الجامعة	نظري عام	الأطفال والمراهقون	النساء	اللاأسوياء	غير ذلك	المجموع
الجامعة اللبنانية						
(قسم علم النفس)	٢	٤	٢	٢	٢	١٢
الجامعة اليسوعية	١	٣	٤	٣		١٢
الجامعة الأميركية	٣	١	٠	١	٢	٦
جامعة الكسليك	٢	١	٣	٣		٩
المجموع	٨	٩	٩	٩	٤	٣٩

أما فئات الجمهور فكانت كالتالي:

الأطفال والمراهقون
- العدوانيون
- أبناء المطلقين
- التلاميذ

النساء
- الجامعيات
- الحوامل
- المتزوجات والمطلقات
- العاملات

اللاأسوياء
- المتخلفون عقلياً
- المدمنون على المخدرات
- الفصاميون
- المرضى
- العباقرة
- الأيتام
- المعاقون

غير ذلك
- الجامعيون
- المعالج النفسي والمرشد
- المشاهد اللبناني

(١٣) W. Hollway, *Subjectivity and Method in Psychology, Gender, Meaning and Science* (London: Sage publications, 1989).

أما الموضوعات النظرية العامة فراوحت مـا بين: إدراك الزمن، الخطاب السياسي، مصداقية قياس رسم الرجل، تكامل وسائل تشـخيص الذهان، الجثة في الهوّام، مجابهـة وضعيات القلق، التربية الجنسية، العلاجات النفسية الدينية المارونية.

وفي أحيان كثيـرة تصدر الموضوعات لدى طلاب العينة عن «همّ» شخـصي محدد وتنتهي عنده. من أمثلـة ذلك: ابنة لزوجين مطلقيـن تدرس أبناء المطلقين، معـلمة تدرس أداء التلامـيذ، طالبة جامعية تدرس مشكلات الطالبات الجامعـيات، مضيفة جويّة تدرس صورة العمل الجوّي، «مؤمنة» تدرّس صورة الكاهن، «مناضـل أو حزبي» (كما يمكن الاستدلال) يدرس أحـد أفرقاء الحرب، عاملة في إحدى مؤسسات المتخلفين عقلياً تدرس هؤلاء، وطبعاً باحثات يدرسن النساء والأطفال (موضوعاتهن الأثيرة).

وباستثناء الذين يدرسون موضوعات نظرية عامة، فإن أبحاث الطلاب لا تكون تكملة لأعمال آخرين في هذا الحـقل، وإذا ما استندوا إلى هذه الأعـمال فذلك لتـقديم مبـرّر نظري لهذا «الهمّ» الشخصي. ثم إن ما ينتهون إليه يكون على درجة من الإبرام بحيث تنتفي أهمية متابعة أعمالهم.

ب ـ النزعة التجريبية

ما أن يختار الطالب ـ الباحث موضوعه حتى يصبح الطريق «الميداني» أمامه معبداً، و«تكرّ» الإجراءات:

(١) **الفرضية:** لا بحث من دون مشكلية، هـذا ما يعيه كل الطلاب ـ الباحـثين. ولكن بما أن المشكلية هي في معظم الأحيان همّ شخصي (وأكاديمي) سابق أو غير متساوق مع همّ معرفي، فإن موضوعات الطلاب تطرح متلازمة مع فرضيتها. أي أن الفرضية، لا تأتي كحصيلة لقراءات ومناقشات دراسات أجريت من قبل باحثين في الـبداية، ولا تستلزم جهداً ووقتاً من أجل إثبات نفاذها (pertinence).

لذلك يصـبح من السهل على القـارىء استـخلاص المشـكلية مبـاشرة عند قـراءة العنوان، بإضافة سؤال هل؟ أو لماذا؟ مثلاً: «تأثير مـستوى الطموح في التحصيل الدراسي في المرحلة الجامعية». والمشكلية تصبح «هل هناك تأثير لمـستوى الطموح؟» وتصير الفرضية «نعم هناك تأثير»، أو «كلا ليس هناك تأثيـر» وهذا ما لا يحتاج إلى قراءات لتبـريره. ويلاحظ أن في جميع أبحاث الطلاب في الجامعة اليسوعية وفي جامعة الكسليك جاءت الفرضية في تقديم الدراسة أو في مستهلها، وتوجه العمل بمجمله للإجابة عنها.

أما لدى طلاب الجـامعة اللبنانيـة، فنلاحظ ميلاً قـوياً لوضـع الفرضيـة في إطار نظري عام، يأخذ في معظم الأحـيان أكثر من نصف الدراسة، يعـرض فيه الطالب ما قرأه حـول الموضـوع وكأنه بذلك يعلن عن جـدارته للإجابة عن التساؤل، ولكن التـساؤل أو الفرضيـة بذاتها لا تبدو متأثرة بهذا الإطار.

ويمثل طلاب الجامـعة الأميركية الحـالة الأقرب إلى النموذج البحثي المفـترض، إذ ينطلقون من دراسات ومـراجعات نظريـة مباشـرة بالموضوع المنوي دراسـته، ومن ثم يقـومون ببناء فرضية مسندة.

(٢) **تقسيم البحث:** عادة يقوم الطلاب بتقسيم أبحاثهم إلى قسمين أو إطارين:

الإطار الأول: نظري: بعدما ينتهي الطالب من تحديد فرضيته العامة وليس قبل ذلك، يقوم بمراجعة ما يتوافر له من مراجع تتصل من قريب أو بعيد بموضوعه، يعرض فيها ما قيل حوله. فإذا كان الموضوع مثلاً «دور الأم في الانخراط السوسيو ـ أسري لطفلها المتخلف ذهنياً» يقوم الطالب ـ الباحث بمراجعة الأدبيات النفسانية حول دور الأم، ومعنى الانخراط وشروطه، وتعريف التخلف العقلي، وحاجات الطفل عموماً، والطفل المتخلف عقلياً خصوصاً، ثم يطلع من كل ذلك بحصيلة تزيد أو تنقص تبعاً لمدى رغبة الطالب بالتوسع. فيأخذ القسم النظري لدى طلاب الجامعة اللبنانية نحو نصف العمل (في ٨ رسائل من أصل ١٢) الذي هو في الأصل كبير الحجم، إذ تراوح الرسائل لديهم ما بين ١١٨ صفحة حتى ٦٨٣ صفحة (ما عدا الملاحق). ويختلف الأمر كثيراً لدى طلاب اليسوعية، فلا يزيد حجم الإطار النظري على الثلث في أغلبية الدراسات (دراسة واحدة تخطى حجم إطارها النظري النصف أي ٥٥ من أصل ١٠٢ صفحة) لا بل نجد رسائل لا تفصل بين الإطارين وتدخل مباشرة في العمل الميداني (دراستان). إلى ذلك فإن حجم الرسائل يراوح ما بين ٦٥ صفحة وحتى ١٤٤ صفحة كحدّ أقصى. ويلاحظ لدى طلاب جامعة الكسليك الميل عينه، فيبدو الإطار النظري محدوداً مقابلة بأهمية العمل الميداني وإن كنا لا نعدم الرسائل التي يطغى فيها الهمّ النظري (مثل دراسة «إعادة بناء صورة الجسم لدى المعاق حركياً بنتيجة حادث» حيث لا تتجاوز صفحات العمل الميداني العشرين من أصل ١٥٠ صفحة) أما حجم الرسائل فيراوح ما بين ٧٣ صفحة وحتى ٢٤٠ صفحة. في المقابل يبدو التنميط لدى طلاب الجامعة الأميركية سائداً، إذ إنه في أغلبية الدراسات لا يتعدى حجم الإطار النظري ٣٠ أو ٤٠ صفحة من رسائل هي في أغلبيتها ما بين ٧٠ إلى ٨٠ صفحة.

الإطار الثاني: تطبيقي: بموازاة القسم النظري، يحدد الطالب ـ الباحث الإطار العملي الذي ستجري فيه الدراسة. فيعاود التقاط الفرضية التي وضعها جانباً (في المقدمة) ومن دون أن يمسّها أثر «نظري» مما قدم في الإطار النظري، ويقوم بتفصيلها إلى فرضيات أو أسئلة ثانوية.

(٣) **التقنية:** يهوى الطلاب الباحثون في ميدان علم النفس تقنية الاستمارة. فتبدو أثيرة لدى أغلبيتهم: ٥ رسائل من أصل ٨ في الفرع الأول، و٤ من أصل ٤ في الفرع الثاني (من الجامعة اللبنانية) و٨ من أصل ١٢ في الجامعة اليسوعية، و٤ من أصل ٦ رسائل في الجامعة الأميركية (وإن كان بعضهم لم يضع بنفسه الاستمارة بل عدّل استمارة مستعملة في الخارج) و٣ من أصل ٩ رسائل في جامعة الكسليك.

ويضيف بعض الطلاب تقنية الرائز إلى عدّتهم العملية (كما في دراستين من الفرع الأول في الجامعة اللبنانية و٣ في جامعة الكسليك وواحدة في الجامعة الأميركية) أو إذا اضطرهم موضوعهم إلى ذلك (كما في موضوع اختبار ملاءمة رسم الرجل).

والملاحظ أنه في الجامعة اليسوعية يقوم الطلاب أحياناً بابتداع تقنيات خاصة. مثلاً في دراسة حول الزمن وضعت الطالبة الباحثة اختباراً مؤلفاً من ٢٨ صورة مأخوذة من دعايات حول الساعة، وفي دراسة حول أثر مشاهدة جثة وضع الطالب ـ الباحث اختباراً من ٦ صور لجثة وأشخاص متحلقين حولها يقومون بحركات غامضة.

واستعملت تقنية المقابلة في دراستين في جامعة الكسليك. وثمة دراسة واحدة استعملت طريقة تحليل مضمون قصة للأطفال (في الفرع الأول في الجامعة اللبنانية)، ولكن من دون عناء اللجوء إلى أية تقنية، فقط القراءة والاستخلاص دون أن يعرض الطالب ـ الباحث القاعدة

التي اتبعها. ولدينا دراستان استعملت فيهما تقنية القراءة التحليلية ـ النفسية، واحدة حول أعمال سيلفادور دالي (اليسوعية) والأخرى حول المزارات الدينية (الكسليك).

(٤) العينة: بما أن الموضوع يتعلق بجمهور معين، وبما أن هذا الجمهور قد قسِّم إلى فئات محددة، وما دام الطالب ـ الباحث يتبنى الطريقة الاستقصائية التجريبية القائمة على الاستمارة، فلا بد له من أن يستخلص عينة ممثلة لهذه الفئة. وفي فهم الطلاب ـ وخصوصاً في الجامعة اللبنانية ـ لكي تكون العينة ممثلة يكفي أن تكون عشوائية!! والعشوائية تعني عدم التحديد المسبق، فيشيل الطالب من الفئة المدروسة عدداً يراه مناسباً (أي ممكناً من الناحية العملية، الوقت والسهولة) وكثيراً ما يقوم الطالب بتقسيم الفئة المدروسة إلى فئات فرعية تبعاً لمتغيرات محددة (وخصوصاً العمر والجنس) فيرتب العينة بحسبها. لذلك يبدو الرقم المزدوج مناسباً (وخصوصاً رقم المئة) لسهولته في الاحتساب النهائي (للمثال حجم العينة لدى طلاب الجامعة اللبنانية بلغ ١٠٠ في ٣ رسائل، و١٢٠ و٩٦ و١١٦ و١٢٦ و٦٠ في ٣ رسائل...).

أما في الجامعة الأميركية، فإن العينة تختار عادة تبعاً لمواصفات محددة، دون أن يغرق الطالب في مشكلة التمثيل.

ويصغر حجم العينة عند طلاب اليسوعية، وذلك يعود من جهة إلى صعوبة الوصول إلى جمهور الدراسة (نساء حوامل، أبناء مطلقين، متخلفون عقلياً...) أو إلى صعوبة تطبيق التقنية، لذلك اكتفت تسع دراسات من أصل ١٢ بدراسة جمهور يراوح عدده ما بين ٢٠ و٦٢ فرداً. والأمر نفسه ينطبق على طلاب جامعة الكسليك، إذ تنحصر عينتهم في حدود الأربعين فرداً (فقط دراسة تأثير العمل في وضع المرأة وضعت نصب عينيها عينة ممثلة بلغت لديها ٢٠٠ امرأة).

(٥) إجراء الدراسة: عموماً يحاول الطلاب ـ الباحثون تحسين تقنيتهم قدر المستطاع. فيلجأون إلى التطبيق التجريبي أول مرة، ثم يعدّلون في التقنية حسبما تستدعي الضرورة التي ظهرت في التجربة، ثم يقومون بالتطبيق النهائي.

ويبدو الجانب الإحصائي في أبحاث طلاب الجامعة الأميركية مدروساً بدقة. إذ يعتني الطلاب بإبراز القياسات الإحصائية المعتمدة والمستمدة عموماً من طرائق محددة ومعروفة لدى الإحصائيين. كذلك الأمر لدى طلاب الجامعة اللبنانية وإن بنسبة أقل، إذ تتنوع الطرائق الإحصائية من جداول ورسوم بيانية وتطبيق معادلات أو تحليل مضمون. ولكن تبقى قراءة النسب المئوية معتمدة على نحو كبير.

ويلاحظ أيضاً الاهتمام المبسّط بالجانب الإحصائي في دراسات طلاب جامعة الكسليك لمصلحة التركيز على التعبيرات النفسية المباشرة (تحليل الإجابات في المقابلة أو في الروائز) من دون أن يضطرهم الأمر إلى استعمال طرائق إحصائية معقدة.

عند طلاب اليسوعية، تنم الأبحاث على قلة اهتمام بالطرائق الإحصائية، ويسيطر هاجس «النسبة المئوية» على الهمّ الإحصائي عموماً، دون البحث عن دلالة اختلافات هذه النسب أو منطقها الإحصائي.

(٦) عرض النتائج: يندر في أبحاث العينة أن يناقش الطالب ـ الباحث نتائج دراسته في ضوء ما قرأه أو ما توصلت إليه الدراسات، فتغيب الهوامش والإسنادات وآثار القراءات التي

قام بها في الإطار النظري. وتصبح النتائج حقلاً خاصاً يصول فيه «المؤلف» ويجول من غير رادع.

والعادة أن يقرأ الطالب نتائجه تبعاً لمحاور الدراسة. لكل محور مجموعة من الأسئلة يقدم الطالب الجواب عنها مستخلصاً إياه من النسب المئوية لمجموع الأجوبة. وفي هذا الفصل تجمع الجداول والرسوم البيانية التي تبرز بوضوح وجلاء النتائج وتدعمها.

تقدم النتائج من دون مناقشة عادة (مع أن العنوان يكون عرض النتائج ومناقشتها). ولكن قد يشذ بعض الطلاب فيتساءل: «هل أن الإطار النظري الذي اعتمدته وما نتج منه من فرضيات في هذا المجال كان ملائماً...» فتكون المناقشة كالتالي: «على الرغم من أن نتائج الأرقام التي عرضناها كانت غير ذات دلالة حاسمة فما زلت أرى بشكل إجمالي تطابقاً بين المهن الثلاث مع معرفتي الواضحة بوجود بعض عناصر التباعد بينها» أي أن الطالب بإمكانه بسهولة أن لا يعتد بنتائجه ويرميها جانباً إذا خالفت رأيه الشخصي.

تخلص الدراسات إلى ما ليس من شأنها، وتجنح نحو الإطلاق[١٤]. وكأنما بطالب البحث قد تملّك حق القول بعد أن كان صامتاً. ويبدو ختام الدراسة على صغر مساحته، حيزاً شخصياً يبرز فيه أسلحته الكاشفة عن المجهول.

يتمايز منحى الطلاب ـ الباحثين في الجامعة الأميركية، وأكثرية الطلاب ـ الباحثين في جامعة الكسليك (نستثني دراسة «أثر المهنة على وضع المرأة المسيحية في لبنان») وبعض الطلاب من الجامعة اللبنانية، وأقل منهم في الجامعة اليسوعية، فيحصرون همهم فيما أرادوا أصلاً النظر فيه.

٢ ـ السمات الخاصة لرسائل البحث وشخصية الطالب ـ الباحث: مقارنة

يظهر لنا من الاطلاع على رسائل البحث نموذج شخصية أكاديمية له السمات التالية:

السمة الأولى: الذاتية، إن ما يحرك الطالب ليس الهمّ المعرفي، استزادة أو مساهمة، بقدر ما هو التدبر في ما أتيح له من علم ناجز وفرصة سانحة، للتقدم خطوة على طريق الترقي الاجتماعي. فيغيب الجهد في الوصول إلى مراجع جديدة، ويندر السعي لاستكمال عمل سابق أو رفده بشيء جديد.

ويقتضي القول هنا إن هذه السمة غابت من أبحاث طلاب الجامعة الأميركية، ولكن لنتذكر أنهم تربويون، وليسوا نفسانيين، وهي إشارة على درجة كبيرة من الأهمية تردنا إلى التأثير

(١٤) مثلاً، يختم أحد الطلاب بحثه بالنتيجة التالية: «يبدو أننا أمام ثورة كهنوتية لا تؤمن بالعيش المشترك»، وبالتوصية التالية: «كل تطرف من أي جهة كانت، لا يمكن أن يخدم أبناء الشعب اللبناني»، وذلك من تحليل مفترض لقصة للأطفال.

كذلك نقرأ خلاصة نتائج دراسة أخرى وفيها: «يتبين لنا أن المراهقين يتعاطون مع الوقت بواسطة مخيلتهم ومشاعرهم. فيرونه إيجابياً أو سلبياً تبعاً للاضطرابات التي يعيشونها. العودة إلى الماضي تريحهم بواسطة النكوص. المستقبل هو هروب للفتيات اللواتي يحلمن بتجسيد رغباتهن، أما الصبيان فإنهم يخوضون معركة الوقت في الحاضر... البالغون متوسط العمر، يتكيفون مع الوقت، إلاّ أنهم يتفاعلون معه مقارعين الخواف منه، النساء يعشن بملء جوارحهن أحداث الحياة ويسعين للاستفادة من كل الوقت... أما المستقبل فيعني للرجال مشاريع للتنفيذ. وبالنسبة للمرأة الوصول إلى موقع...» وكل هذه النتائج الجامعة المانعة أتت من دراسة لاستجابات مجموعة أفراد على صور إعلانات عن الساعة.

الذي يمارسه حقل الاختصاص نفسه في العاملين فيه لجهة سهولة توظيف المعرفة في الشأن الذاتي.

السمة الثانية: الحماسة، ويمكن الاستدلال عليها من مراجعة إهداء الطلاب لعملهم والمروحة الواسعة التي يشملها من أهل وأقارب وأحباب وأصدقاء ومعارف، حتى لتظن أن الطالب حقق مشروع العمر ولن يتسنى له أن يهدي أي عمل لأي آخر كان.

وهذه السمة تبرز خصوصاً لدى طلاب الجامعة اللبنانية ـ الفرع الأول، الذين ـ ما عدا إثنين ـ تجاوز عندهم عدد المهدى إليهم الأربعة أشخاص وصولاً إلى ما لا يمكن إحصاؤه مثلاً نجد في دراسة واحدة الإهداء التالي: «الأم ـ الأب ـ الزوج ـ الأشقاء ـ الخالة ـ جميع الأهل والأصدقاء ـ جميع الأساتذة في جميع مراحل الدراسة الجامعية» دفعة واحدة.

ولم نجد مثل هذه الحماسة لدى طلاب الجامعة اللبنانية ـ الفرع الثاني، أو لدى طلاب الأميركية أو الكسليك أو اليسوعية (ما عدا واحدة).

يقابل هذا الشعور بالعطاء الوافر شعور أقل منه بالأخذ، يظهر في عبارات الشكر التي تبدو كلازمة مكرورة أو كواجب مفروض (أشكر أستاذي المشرف على سعيه والجهد الذي بذله...) على أي حال إن إبحاثاً أربعة فقط من أصل الرسائل التسع والثلاثين قد ضمت بين مراجعها عملاً للأستاذ المشرف. فإما أن الأستاذ لم يعمل في الحقل الذي يعمل الطالب فيه، وبالتالي لا ندري حينها كيف يكون الإشراف، أو أن الطالب لم يقرأ عمل الأستاذ ولا ندري حينها كيف يدرك الطالب دور الأستاذ.

وكثيراً ما ينال الشكر ليس الأستاذ وحده، بل يعاونه في ذلك مجموعة أشخاص من أساتذة (وخصوصاً أعضاء اللجنة المشرفة) أو أصدقاء أو مجتمع الدراسة. حتى ليبدو الإهداء والشكر تدليلاً على عظمة العمل الذي قام به صاحبه فاستحق أن يهدي على هذا النحو وأن يشكر كل من ساهم فيه لبلوغه ما بلغ.

السمة الثالثة: الجرأة، وهي تبرز في تنطح الطالب لأمهات المراجع والموضوعات، فلا يخاف مقارعة «فرويد» وجهاً لوجه مثلاً، ولا يشعر بضرورة المرور بالباحثين الوسطاء. نرى إحدى الطالبات تقرأ سيلفادور دالي في ضوء التحليل النفسي في بحث عنوانه «ريشة وأريكة» (لاحظ العنوان) أو طالباً آخر يبحث في «تمثل الزمن» فينهل مباشرة من ديكارت وبرغسون وأينشتاين إضافة إلى فرويد (راجع هوامش الدراسة المذكورة) أو طالباً آخر يبحث في العلاقة ما بين «العنف والمقدس» أو «شهوة الجمود» (لاحظ أيضاً العناوين الأخاذة).

ويبدو أن هذا النزوع ليس خصوصية محلية، فيلاحظ البعض أنه يتميز به في العادة عالم النفس الشاب والطموح الذي «لا يريد أن يتناول المشكلات القديمة. إنه يريد أن يجدد وأن يتناول مشكلات جديدة، وأن يستخدم مناهج جديدة، وأن يبتكر مفاهيم جديدة، وأن يربط اسمه بظواهر جديدة. إن نتائج مثل هذا الطموح لسوء الحظ كثيراً جداً ما تكون عدداً وافراً من التقارير التفصيلية التي لا تقود إلى شيء أو لا ترتبط بالماضي أو بالحاضر»[١٥].

(١٥) ريي مايمان، **طبيعة البحث السوسيولوجي**، تعريب عبد الرحمن عيسى (بيروت: دار الشروق، ١٩٨٩)، ص ٦٣.

على أي حال نـذكر أن هذه النزعة هي الأقـوى لدى طلاب اليسـوعية والأضـعف لدى طلاب الأميركية. ويلاحظ لدى الأخيرين الميل إلى النظـر في زاوية معينة من موضـوع محدد نظر إليه من قبل آخـرين، فيحـاول الطالب أن يطبق المنهج نفسـه (مع تعديل التقنيـة قدر الإمكان) على الواقع المحلي.

السمة الرابعة: التغرب، يلاحظ في هذا الصـدد طغيان المراجع الأجنبية في كل الـجامعات (ما عدا اللبنانية) والاقتصار عليها في أحيـان غالبة. ولا نقصد بالأجنبية هنا فقط المراجع التي كتبت بلغة أجنبية، وإنما أيضاً المراجع التي وضعهـا مؤلفون أجانب، وهو أمر مثير للاستغراب حين نعلم أن الموضوعـات يفترض أنها تجري في الواقع المحلي ويحـتاج الطالب إلى الاقتراب من فهم هذا الواقع لقراءات تتعلق به أو نابعة منه[١٦].

يسجل في هذا المـجال جهد الجـامعة اللبنانية في تكيـيف اللغة العربيـة لاستيعاب مـفاهيم ومصطلحات علم النفس بحيث لا يشعر القارىء بأية صـعوبة لدى الطالب ـ الباحث في التعبير المنهجي.

السمة الخـامسة: التقـوقع، ويلاحظ في انغلاق الجامـعات على بعضـها، مثـلاً لا نجد في مراجع الأبحاث كافة إشارة إلى دراسات أجريت في جامعـة أخرى، وكأنما لكل جامعة مراجعها وأطرها وحقلها.

فإذا ما عدنا إلى الأطر المفاهيمية لأعمال الطلاب، يمكن ملاحظة اختلاف اللغة المستعملة في كل جامعة، الذي نرى إلـيه أبعد من مجرد إتقان لغات مـختلفة (وهو أمر مؤثر، فيـلاحظ اعتماد جامعة اليسوعيـة وجامعة الكسليك اللغة الفرنسية حصراً، والجامعـة الأميركية اللغة الإنكليزية حصـراً...) إلى النهل من ميادين نظرية مـتباعـدة. فيكوّن الإطار الفرويدي (والتـحليل النفسي عمـوماً) خلفيـة نظرية غالبـة لدى أبناء اليسـوعية والكسليك، وبدرجـة أقل لدى أبناء الجامـعة اللبنانية، في حين يغلب المنحى التجريبي على أبحاث الطلاب في الجامعة الأميركية، فيما يمكن ردّه إلى تأثير التوجهات النظرية للأساتذة المشرفين في الرسائل.

السمة السادسة: العرفية، أو الـنزوع إلى التقليد، ويظهر في ميل الباحـثين الطلاب إلى شدّ موضوعاتهم لتتواءم من قناعات مسبقة لديهم، وللمثال على ذلك نذكر دراسة تنطلق من تصور مفـاده «أن الرهبانيات المـارونية، لعبت دوراً مـكشوفاً، أوجـد قاعدة دينيـة للعنف» أو دراسة أخرى حول الجامعيات اللبنانيات ترى «أن تاريخ لـبنان خضع لقرون عديدة لتأثير شرق مسلم كاره للنساء لم يكن للمـرأة فيه غير دور الجارية أو المنجـبة وأن المرأة بسبب تشربها لـلثقافة والعادات الغربية تسعى إلى زعزعة نير التـقليد...» أو دراسة حول أثر عمل المرأة تشير إلى أن في لبنان نساء لهن مآثر، فـلا يجدن نموذجاً سوى «عالية فـرنسيس» التي حاربت الدروز عام ١٨٦٠.

(١٦) مثلاً لا يجد الباحث في موضوع صورة الكاهن عند الشـاب اللبناني سوى مرجع وحيد لمؤلف لبناني. أو أن دراسة حول استراتيجية المواجهة لوضعيات القلق لدى طلاب الجـامعة الأميركية في بيروت لا تحتاج إلى العودة إلى أي مرجع محلي يناقش خصوصيـات وضعيات القلق هذه وشأن المؤسسـات الاجتماعية، مثل الأسـرة، في رسم استراتيجيات مواجـهتها. أو دراسـة مقـارنة كذلك للتـوتر (Stress) بين المـتزوجـات والنسـاء المطلقـات في لبنان، لا تعود إلى أي مـرجع مـحلي في هذا الخصوص.

ثالثاً: مناقشة النتائج وتفسيرها

في عرضنا لنتائج الدراسة في ضوء الفرضيات التي طرحتها يلاحظ:

١ ـ في ما يتعلق بالأداء البحثي:

أ ـ عدم التوازن ما بين الجانبين النظري والتطبيقي لمصلحة الجانب الأول، وخصوصاً لدى طلاب الجامعة اللبنانية.

ب ـ عدم الارتكاز على دراسات سابقة، وخصوصاً لدى طلاب جامعة اليسوعية. في المقابل تبدو الجامعة الأميركية هي الأقرب لتمثيل النموذج العلمي الجيد لجهة الاستناد إلى أعمال الآخرين.

ج ـ عدم الانفتاح على دراسات لاحقة، ومؤشرات ذلك:

ـ عدم إمكان التكرار، ويتفلت من هذا المنحى طلاب الجامعة الأميركية، إذ يميلون إلى اختيار عينة مضبوطة ومحددة، كما أن أدوات الدراسات أكثر تقنيناً.

ـ عدم إمكان التعميم، في مختلف أبحاث الطلاب.

ـ عدم توليد أسئلة جديدة، وإن كان طلاب الجامعة الأميركية يحاولون أكثر من غيرهم فتح دراساتهم على نواحٍ جديدة.

ـ الافتقار إلى مراجع حديثة، ويبرز هذا المؤشر في رسائل طلاب الجامعة اللبنانية أولاً ثم الكسليك ثانياً، من خلال ضآلة الرجوع إلى مراجع صادرة في التسعينات، وعدم توافر دوريات متخصصة.

ولا يعاني طلاب الجامعة الأميركية مثل هذا الوضع، فإن لائحة المراجع لديهم هي أكبر من الناحية العددية وأكثر حداثة من الناحية الزمنية. كما تتوافر للطلاب دوريات مختلفة في حقل دراستهم. كذلك الأمر بالنسبة إلى طلاب اليسوعية وإن بدرجة أقل.

ـ ضعف المساهمة المعرفية فيه، فثمة أعمال يمكن عدّها إسهاماً معرفياً وإن كانت قليلة العدد نسبياً، نذكر منها رسالة الطالبة لينا بيضون (الجامعة اللبنانية) ورسالة الطالبة رلى عبد الله دبوس والطالبة عبلة بساط جمعة (الجامعة الأميركية) ورسالة الطالبة موريل تيان (الجامعة اليسوعية) ورسالة الطالبة جومانة حداد (جامعة الكسليك).

٢ ـ ضعف التقليد البحثي، والمؤشرات على ذلك:

أ ـ تجيير البحث لخدمة الأهداف الخاصة: يظهر هذا المؤشر في رسائل طلاب كل من الجامعة اللبنانية والجامعة اليسوعية وجامعة الكسليك، ويغيب عن رسائل طلاب الجامعة الأميركية.

ب ـ غياب التنسيق ما بين اهتمامات الأستاذ وتوجه الطالب: إذا كانت العودة إلى دراسات الأستاذ المشرف في مراجع الطلاب دليلاً كافياً على صحة هذا المؤشر فإنه يمكننا القول إن هذا المؤشر يميز رسائل أغلبية طلاب الجامعات المدروسة.

ج ـ غياب التنسيق لجهود البحث في الجامعة نفسها: ويمكن تأكيد صحة هذه الفرضية أيضاً من خلال تشتت موضوعات البحوث في كل جامعة على حدة، وندرة التواصل في ما بين أبحاث طلاب كل منها.

د ـ غياب التنسيق لجهود البحث في ما بين الجامعات: ويمكن الاستدلال على هذا المؤشر من خلال تشتت موضوعات البحوث، ومن خلال انعدام الاتصال في ما بين الجامعات، كما يلاحظ من مراجع الأبحاث، فتقتصر كل جامعة على أبحاث طلابها ويندر أن يرجع باحث في جامعة معينة إلى جامعة أخرى.

وتجدر الإشارة إلى أن معظم أبحاث الطلاب سادها التوجه الحقلي، ولم تكن دراسات نظرية بحتة، الأمر الذي ينفي صحة الفرضية التي انطلقنا منها.

كيف نفسر هذه النتائج؟

لا شك في أن عمل الطلاب ـ أي طلاب ـ يعتوره العديد من المشكلات والنقائص، وإلا لما كان عمل طالب أصلاً. والإشارة إلى هذه المشكلات والنقائص لا تعني أن ما يجري لدينا لا مثيل له في مكان آخر، بل إذا استرجعنا مع «ريي هايمان» الاتجاهات العامة للمآزق البحثية لدى طلاب علم النفس نلاحظ انطباقها على الواقع المحلي لجهة:

ـ الانغماس المتسرع في التجربة المصممة تصميماً غير ناضج (منحى ظاهر مبدئياً لدى مختلف الطلاب).

ـ معالجة المعطيات باستخدام العقول الإلكترونية بطرائق فيها مبالغة في الشكلية والطقوسية (لدى طلاب الجامعة الأميركية، يليهم طلاب الجامعة اللبنانية).

ـ الغوص في أعماق الجانب الكتابي من البحث (الجامعة اللبنانية ثم جامعة الكسليك ثم الجامعة اليسوعية).

نخلص من كل ذلك إلى الإشارة إلى أنه على الرغم من عدم تحقق جميع شروط البحث العلمي الجيد في الأبحاث المقدمة، فإن أغلبيتها تميزت بجهد لا ينكر وحماسة لا تخفى في التوجه نحو الحقل لكشف علاقاته ورسم اتجاهاته، وإن شاب هذا الجهد والحماسة غياب «التواضع» في أحيان كثيرة، وغياب «التنسيق» على مستوى إدارة الجامعة، بحيث تصب الجهود في خدمة توجه علمي محدد أو على مستوى الجامعات عموماً بحيث تصب في خدمة المجتمع. ولقد كان من اليسير التخفيف من هذه الشوائب لو جرى اتصال في ما بين الجامعات لمشاركة ثمار البحث مع الآخرين، لأن من شأن هذا الاتصال أن يضبط ويعطي البحث العلمي طعمه الخاص. إن الحاجة والرغبة لدى الباحث في نقل اكتشافاته إلى زملائه، تدفعه إلى أن يصبح مهتماً بالموضوعية، والبرهان والصياغة الواضحة[١٧].

تعيدنا هذه الملاحظة إلى غياب المجتمع العلمي الذي يهيىء لتقاليد بحثية راسخة، والذي يظهر كسبب رئيسي لضعف الأداء البحثي العام وليس الضعف الأكاديمي أو المنهجي للطالب نفسه. ولكن كيف نفسر إذاً التفاوت الملاحظ في الأداء العلمي في ما بين الجامعات في لبنان، وخصوصاً تمايز الجامعة الأميركية عن بقية الجامعات؟

يبدو لنا تمايز الجامعة الأميركية دليلاً على صحة الملاحظة وليس دحضاً لها. ذلك أن هذه الجامعة وإن كانت الأعرق زمنياً، ورائدة «البحث العلمي الجامعي في لبنان والمنطقة»[١٨] فإن

(١٧) هايمان، المصدر نفسه.

(١٨) حافظ قبيسي، «التعليم العالي والوحدة الوطنية،» برنامج الندوات الخاصة حول التعليم والوحدة الوطنية في لبنان، دائرة التربية، الجامعة الأميركية في بيروت، ١٢ أيار/مايو ١٩٩٢.

طبيعة تكوينها ودورها يفرضان عليها توجهاً وتواصلاً أساسيين ليس مع المجتمع المحلي بقدر ما هو مع المجتمع العلمي الأميركي تحديداً، الأمر الذي يعفيها من آثار التقوقع المحلي ومشكلة غياب المجتمع العلمي التي ذُكرت آنفاً. ولكن هذا الواقع نفسه يمثل من زاوية أخرى، على الأرجح، مصدراً للرتابة والتنميط اللذين تمتاز بهما أبحاث الطلاب في الجامعة الأميركية، ويفسر تلك النزعة التقنية السائدة فيها.

أما الجامعات الأخرى، فعلى الرغم من كونها، كما ظهر لدينا، منغلقة على نفسها، تدور كل منها في فلك ذاتي،فإنه يظهر في عمق اهتمامات طلابها نوع من «القلق» يدل على تفاعل مع المحيط الذي يعيشون فيه، وتترك أعمالهم للقارىء انطباعاً بأنهم منفعلون بما يجري، متحمسون لانخراطهم فيه، يرمون الحجارة في مياهه الساكنة... بالتأكيد إن ذلك ليس من شروط البحث العلمي، ولكنه يفسر لي على الأقل لماذا كانت الأبحاث في هذه الجامعات تستغرق مني وقتاً أطول من الوقت الذي تستغرقه الأبحاث في الجامعة الأميركية... إذ كثيراً ما كانت تجرّني للتفكير في ما هو خارج عنها... وأحياناً كنت أحلم.

عينة الدراسة

الجامعة الأميركية في بيروت

بساط جمعة، عبلة كامل:
The need for school psychology role functions as perceived by directors, teachers and parents in Beirut. Masters of Arts, Dept. of Education, A.U.B., Beirut, June 1994.

دبوس، رلى عبد الله:
Lebanese norms and psychometric properties of the goodenough draw - A-Man test. Masters of Arts, Dept. of Education, A.U.B., Beirut, October 1994.

سردوق، ريم منير:
The relationship between Academic Self-Concept academic causal attributions and teacher's evaluative feedback in a sample of upper elementary private school students. Masters of Arts in Dept. of Education, A.U.B., Beirut, June 1995.

صابية، كريستين:
The relationship of cognitive appraisal of stressful events to depression among married couples in a Lebanese town. Masters of Arts in Dept. of Social and Behavioral Sciences, A.U.B., Beirut, 1986.

ناصر أوري، سهيلة:
The relationship between locus of control, self-esteem and coping strategies in stressful encounters. Masters of Arts, Dept. of Education, A.U.B., Beirut, January 1995.

نكدي، لينا قاضي:
Self concept in socially disadvantaged or phans: comparison across grade level, gender, type of social disadvantage and relationship to academic achievement. Masters of Arts, Dept. of Education, A.U.B., Beirut, June 1995.

الجامعة اللبنانية:

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم علم النفس ـ الفرع الأول:

قزيحة، أمل رياض: تأثير مستوى الطموح على التحصيل الدراسي في المرحلة الجامعية ـ دراسة نفسية، دبلوم الدراسات العليا في علم النفس، بيروت، ١٩٩٤.

شعبان، هدى: مدى تأثير العنف المتلفز على زيادة العدوانية عند الناشئة، دبلوم الدراسات العليا في علم النفس، بيروت ١٩٩٣ ـ ١٩٩٤.

حمداش، سمير نوري: تأثير مواد الإعلان التلفزيوني على الطفل (من سن ٧ إلى ١٣) دبلوم الدراسات العليا في علم النفس، بيروت ١٩٩٣.

بيضون، لينا مصطفى: تكامل وسائل تشخيص الذهان: رووشاخ ـ وينتبورن ـ DSM III، دبلوم الدراسات العليا في علم النفس، بيروت ١٩٨٩ ـ ١٩٩٠.

بزي، هشام حميد: العنف والمقدس في الحرب اللبنانية ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦: مدخل إلى دراسة نفسية لخطاب الكسليك من خلال شريط مصوّر ـ «قصة المـوراني». دبلوم الدراسات العليا في علم النفس، بيروت ١٩٩٢.

الخشن، أمل: صورة المدمن في المجتمع اللبناني ـ دراسة ميدانية. دبلوم الدراسات العليا في علم النفس، بيروت ١٩٩٥.

الجويدي، ملكة فوزي: صورة العمل الجوي عند الموظف والرأي العام ـ دراسة ميدانية حول مهنة التضييف الجوي. ماجستير في علم النفس، بيروت ١٩٩٠.

معاليقي، رولا خالد: القدرات الإبداعية وعلاقتها بالاتجاهات الوالدية عند الطفل (من سن ٦ ـ ١٢) دبلوم الدراسات العليا في علم النفس، بيروت ١٩٩٣.

قسم علم النفس ـ الفرع الثاني:

القطريب، ماريا التاكراسيا: العلاقة «طبيب ـ مريض» ودور المعالج النفساني. دبلوم الدراسات العليا في علم النفس، بيروت (الفنار) ١٩٩٤.

أبو جودة، سيمون:

The self concept of DRUG-ADDICTS. Diploma of Higher Studies in psychology, Fanar 1992.

عقل، نزهة:

L'image du prêtre chez les jeunes libanais. Diplôme d'études supérieures (D.E.S) en psychologie, Fanar 1991.

عيد، كارمن:

Etude comparée sur le stress entre femmes mariées et femmes divorcées an Liban. Diplôme d'études supérieures en psychologie, (D.E.S) Beyrouth 1991.

الجامعة اليسوعية

ريشا، مي:

Le rôle de la mère dans l'intégration socio-familiale de son enfant déficient mental. Maîtrise en psychologie clinique, Beyrouth 1994.

لبكي، ريتا:

La représentation du temps. Maîtrise en psychologie clinique, Beyrouth 1994.

قيسي، شيرين:

La perception du corps de la femme dans la publicité. Maîtrise en psychologie industrielle, Beyrouth 1994.

حايك، ماريز:

Le vécu de la grossesse et la perception de l'enfant chez 32 femmes libanaises primipares. Maîtrise en psychologie clinique, Beyrouth 1993.

سركيس، رينه:

Pinceau et Divau. Maîtrise en psychologie clinique, Beyrouth 1993.

تيان، موريل:

Motivations et décisions personnelles du déficient intellectuel adulte. Maîtrise en psychologie clinique, Beyrouth 1995.

عون، غادة:

La vie familiale des femmes libanaises universitaires. Maîtrise en psychologie clinique, Beyrouth 1994.

الجيتاني، كارن:

Le défi., peuvent-ils réussir en amour quand leurs parents ont échoué? Etude clinique portant sur trent-neuf enfants de divorcés. Maîtrise en psychologie clinique, Beyrouth 1993.

نادر، نيكول كامل:

L'originalité à travers les dessins d'enfants. Maîtrise en psychologie clinique, Septembre 1991.

دهان، إيزابيل:

L'image du corps chez la femme actuelle. Maîtrise en psychologie clinique, 1991-1992.

غانم، بطرس:

La passion de l'immobile. Le cadavre dans le fantasme. Maîtrise en psychologie clinique, Beyrouth 1993.

غازريان، مارال:

Le mensonge chez l'adolesent. Maîtrise en psychologie clinique, Beyrouth 1992.

جامعة الروح القدس ـ الكسليك

عازار، أوغستين:

Psychanalyse de certaines psychothérapies religieuses maronites. D.E.A en psychologie, 1992.

عبسي، نيكول:

La relation à la mère chez le schizophrène projetée à travers le "Thematic Aperception Test", D.E.A en psychologie, Kaslik, Liban 1994.

الخوري، تيريز:

L'influence du rang dans la fraterie sur la frustration chez l'enfant. D.E.A en psychologie, Kaslik-Liban 1994.

طنوس، غرازيللا كلاب:

L'interruption volontaire de la grossesse: Echec, réussite ou délivrance. D.E.A en psychologie, Liban 1993.

أبو حلون، ماري:

La reconstruction de l'image du corps chez les handicapés moteurs accidentels. D.E.A en psychologie, Liban 1994.

حداد، جومانة:

La projection du délire paranoîaque dans le thematic aperception test. Etude réalisée auprès d'un échantillon d'hommes paranoîaques à l'Hôpital psychiatrique de la croix. D.E.A en psychologie, Liban 1994.

محفوظ، راغدة:

Mais où J'´étais donc avant de naître? Education sexuelle ou répression? D.E.A en psychologie, Liban 1994.

عبد الحق، بولا سروجي:

Le relation affectif de la femme. Etude de cas des attitudes psycho-affectivo-sexuelle de la jeune fille au Liban. D.E.A en psychologie, Liban 1992.

نادر، الأخت هيلدا:

L'impact de la profession sur la condition féminine chrétienne au Liban. D.E.A en psychologie, Liban 1991.